

باب

التاريخ والاجتماع



قلعة طرابلس السام

للدكتور اسمعيل رستم

ليس الغرض من هذه الرسالة ان نضع مؤلفاً صغيراً في فن بناء القلعة من الوجهة الفنية الاثرية ولا ان نكتب تاريخاً لها منذ ان ظهرت في طرابلس الى الوقت الحاضر . لسنا نقصد هذا ولا نرعى الى ذلك وانما نود ان ننشر الان رسماً افقياً لهذه الابنية فسد حاجة طالما شعرنا بها كلما حاولنا ان نكتب شيئاً عن الحروب والفتن التي حدثت بجوار هذه القلعة وضواحي بلدتها في الازمنة الحديثة . هذا ولا نرى بدأً من التصريح بهذه المناسبة اننا لم نعتمد في عملنا هذا على خارطة ما لاننا لا نعرف تصميماً فنياً لهذه القلعة غير هذا الذي نقدمه الآن الى قراء العربية . فهو على ما نعلم الاول من نوعه . (١)

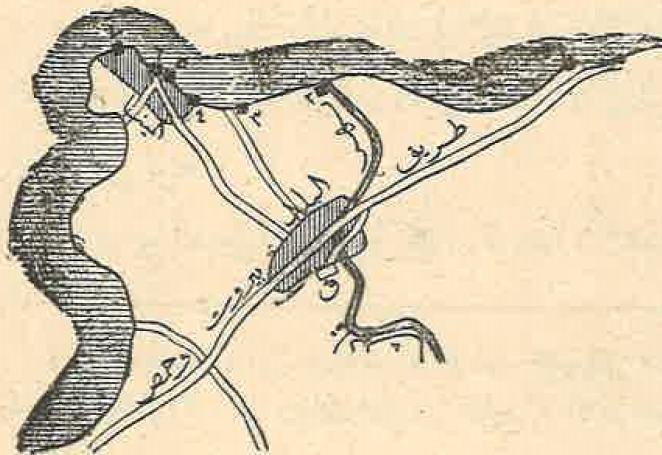
ويرجع الفضل كل الفضل في ابراز هذا التصميم وغيره من الاشكال الهندسية

(١) في صعوبة دخول علماء الفرنجة الى هذه القلعة قبل الحرب العامة راجع كلام الاثري المشهور المسيو كميل انلار الافرنسي في المجلد الثاني من كتابه : « الانار الصليبية في مملكة القدس » ص ٢٣٢ .
Camille Enlart, Les Monuments des Croisés dans le Royaume de Jérusalem etc. (Paris, 1925 - 1928) .

في هذه الرسالة الى زميلي المعروفين مستر ايفان روبنسكي وسليم بك نكد وعموم افراد صف المنتهين في الهندسة من كلية العلوم والآداب في هذه الجامعة عام ١٩٢٨ وهم جواد افندي عظم وصلاح الدين افندي عيتاني وعلي افندي روجي واحمد افندي مجعان والشيخ شامل ابو علوان وفهرام افندي نرسيسيان وعزيز افندي نصر وكذلك فاننا نسدي وافر الشكر لحضرة الزميل الفاضل المسيو شارل فيرولو مستشار الاثار في المفوضية العليا سابقاً ولحضرة الوجبة الفاضل مصطفى افندي عز الدين رئيس بلدية طرابلس وقتئذ لاهتمامهما بعملنا هذا وتكرمهما علينا بالمساعدة الادارية اللازمة . ونقدم شكرنا الجزيل ايضاً لحضرة الوجبة المشهور والوطني الفيور فواد افندي ذوق رئيس بلدية طرابلس سابقاً وحضرة المؤرخ الطرابلسي المعروف جرجي افندي بني لما بذلاه من الوقت في ابداء الملاحظات الخلية المهمة .

* * *

الموقع : قلعة طرابلس اليوم قائمة على راس رابية تشرف على الباد وتلاصقها من الجهة الواحدة وتطل على نهر قاديشا من الجهة الاخرى . وهي واحدة فقط من سلسلة حصون وابراج كانت في الازمنة الحديثة تحيط بالقبة والباد والمينا والسلسلة



هذه ظاهرة باجلى وضوح في الشكل الاول فلو خرجنا من القلعة (شاق) وقصدنا البحر الى شمالها نصل اولاً الى برج العدس (ش ارقم ١) وثانياً الى برج راس النهر (ش ارقم ٢)

(الشكل الاول : قلعة طرابلس وسلسلة الابراج)

وثالثاً الى برج سباع^(١) (ش ١ رقم ٣) ورابعاً الى برج التكية (ش ٤ رقم ٤) خامساً الى برج الديوان (ش ٥ رقم ٥) وسادساً الى برج البنط (ش ٦ رقم ٦) وسابعاً واخيراً الى برج المغاربة (ش ٧ رقم ٧) ولعلها كانت ثمانية لورود الاشارة الى برج البحصاص في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار لشهاب الدين احمد ابن يحيى ابن فضل الله العمري .^(٢)

* * *

المواد الاساسية : حجارة هذه القلعة رملية ناعمة تشبه حجارة اكثر المدن في ساحل سورية من غزة هاشم الى الاسكندرونه . وهي من حيث حجمها نوعان نوع يبلغ طول الحجر منه ٩٠ سنتيمتراً وارتفاعه ٤٠ . ونوع آخر لا يتجاوز طول الواحد منه الـ ٢٥ سنتيمتراً وارتفاعه الـ ١٨ . ويكثر النوع الاول في الاعراق السفلى من ابراج النهر وفي الطابق الاول من البرج الشمالي الكبير (ش ٢ رقم ١٦ - ٢٢ و ٢٦) . وقد وجدنا على البعض من هذه الحجارة الضخمة عدداً من علامات البنائين الصليبيين التي تتفق تمام الاتفاق مع علامات هؤلاء البنائين في قلعة الحصن وقلاع طرطوس وجبيل وصيدا^(٣) . واما النوع الثاني من حجارة هذه القلعة فانه اكثر جداً من النوع الاول وهو موجود في سائر انحاء القلعة وخصوصاً في ابراجها الغربية

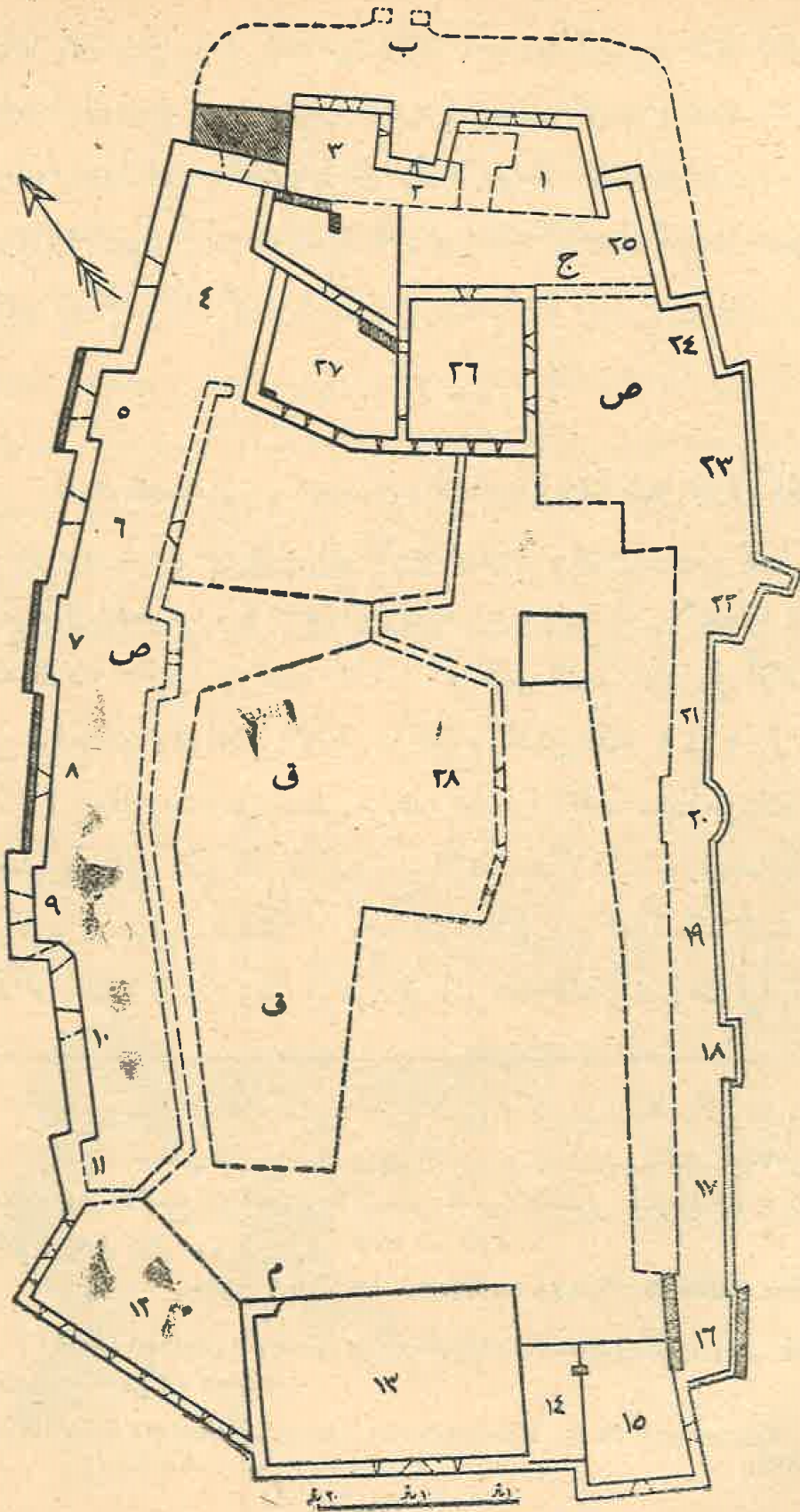
(١) برج سباع اي البرج السابع لا «برج السباع» كما يزعم الرحالة ماكس فان برشام .
(٢) منه نسخة في الاربع لى جرجي افندي بني في طرابلس واثنتان غيرها في مكتبة باريز الكبرى . وهو بالاربع لى لى البحصاص لى البحصاص كما دونه المستشرق المشار اليه آخراً ماكس فان برشام اطلب رحلته في شمالي سورية ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٥ .

Max van Berchem, Voyage en Syrie - Le Caire, 1914

(٣) اطلب ايضاً بعض ما وجد منها على اثار الصليبيين في فلسطين في كتاب وصف فلسطين لكوندر وكنتشر ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٣ .

C. R. Conder and H. H. Kitchener, the Survey of Western Palestine—
London, 1882.

قلعة طرابلس الشام



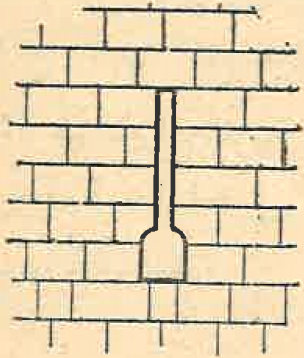
الشكل الثاني : تقسيم اقليمي لقلعة طرابلس كما هي اليوم

والاقسام العالية من ابراج النهر . وقد لاحظنا فرقا كبيرا في طريقة نحت هذه الحجارة وتمكنا بعد العناء الطويل من تقسيم جميع حجارة القلعة من حيث نحتها الى قسمين رئيسيين ايضاً : قسم يكون النحت فيه منحرفاً اما الى اليمين او الى اليسار وقسم يكون نحته عمودياً من الاعلى الى الاسفل او اقلياً من اليمين الى اليسار . والنوع الاول من النحت يكاد يقع دائماً في الحجارة الضخمة المشار اليها آنفاً والثاني في الحجارة الصغيرة الموجودة في اكثر انحاء القلعة .

* * *

المساحة والتجهيزات : والقلعة مستطيلة الشكل متعددة الاضلاع يبلغ طولها من مدخلها الشمالي الى اقصى طرفها الجنوبي ١٣٦ متراً ومعظم عرضها يتجاوز ٧٠ متراً . اما « استحكاماتها » فقسمان داخلي وخارجي فالخارجي مؤلف من خندق وسلسلة ابراج وحجب . والخندق منقور في الصخر عند طرفه الغربي ومبني فوق سطح الارض عند الطرف الآخر . وهو يمتد من وجه البرج الرابع والعشرين الى وجه البرج الرابع (ش ٢ رقم ٢٤-٤) فيتجاوز طوله ٧٠ متراً ومعدل عرضه ٥ امتار . اما عمقه فيتراوح بين ٢ و ٣ امتار .

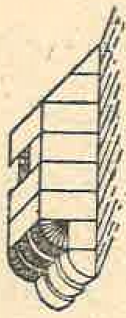
وسلسلة الابراج والحجب تتألف من ٢٥ برجاً وحجاباً كما يتضح ذلك من الشكل الثاني . فلو خرجت من باب القلعة الكبير وحاولت ان تدور حول هذه السلسلة رأيت الى يمينك ويسارك برجين من الابراج التي جددها السلطان سليمان



الشكل الثالث : مزغلة من
مزغل البرج الثاني

القانوني عام ١٥٢١ (ش ٢ رقم ٢٥١) . وهما لا يتجاوزان خمسة امتار ارتفاعاً . اما ثخن جدرانها فانه يبلغ عند السطح ١٢٠ سنتيمتراً ولعله كان عند القاعدة ٢٤٠ سنتيمتراً . ويمكنك ان تشاهد في اعلى هذين البرجين اربعة طيقان وعدداً وافراً من المزغل والمكاحل وبعض الشرف الحربية . وكذلك يمكنك ان ترى اطراف بعض الاعمدة القديمة التي استعملت لربط جدران

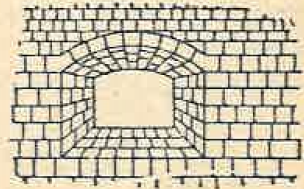
هذين البرجين وثقوبتهما ناتئة ومرتبة ترتيباً هندسياً مضبوطاً — سبعة في البرج الاول وستة فقط في الثاني .



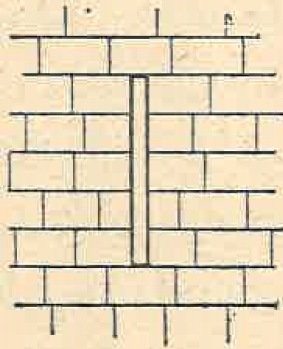
وإذا اكملت سيرك الى اليسار نحو التحصينات الخارجية الغربية والجنوبية تجدها مركبة من سبعة ابراج واربعة حجب (ش ٢ رقم ٤ - ١٥) . وتجد في اعلاها كلها عشرة طيقان للمدافع وحوالي عشر مزاغل ايضاً .

اما سمك هذه الابراج والحجب

فانه يتراوح بين الستة والسبعة امتار



الشكل الخامس : طاق مدفع من طيقان التحصينات الخارجية .
 وثخن بنيانها عند السطح يتراوح ايضاً ما بين ٢٠ او ٢٤ سنتيمتراً من شرف البرج الثاني وهي تطل على مدخل القلعة وباجا العثماني بوجه التقريب



اما ثخن جدران الابراج الشرقية عند سطوحها فلا يتجاوز الخمسين او الستين سنتيمتراً . ولكن ما ينقص هذه الابراج في عرض الجدران ترجمه في الارتفاع فان سمك البرج المستدير (ش ٢ رقم ٢٠) لا يقل عن ١٩١١ متراً . وهي قلاية طيقان المدافع كما في التصميم المشار اليه آنفاً ولكنها كثيرة المزاغل

وتماز على الابراج الغربية والجنوبية ببعض الشرف الحربية الموجودة في اعاليها فان عدد مزاغلها لا يقل عن الخمسين وشرفها يتجاوز الخمسة

الشكل السادس : نوع آخر من مزاغل القلعة وهو موجود بكثرة في الابراج الغربية والجنوبية والشرقية

البقية تأتي